# شرح ثلاثة الأصول

للإمام المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ

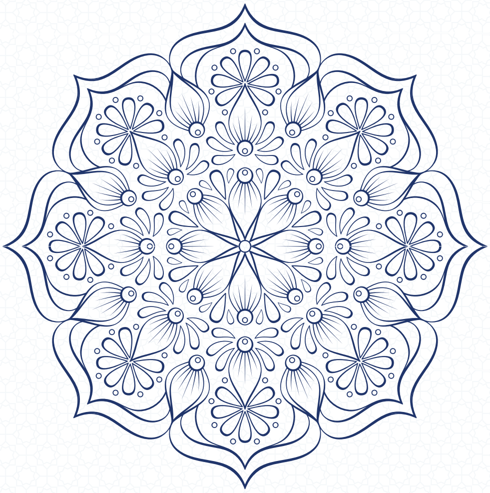

# شرح ثلاثة الأصول

**للإمام المجدد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ(١)

**جامع شيخ الإسلام ابن تيمية بالرياض**

**نسخة خاصة لبرنامج دليل ٧/٣/١٤٤٦هـ**

(١) **تنبيه**: هذا الشرح مستفاد من عدة شروح لهذه الرسالة لأهل العلم جزاهم الله خيراً، ومن مراجع أخرىٰ، ولم يُراعَ فيه التوثيق العلمي؛ لأن الغرض ابتداءً لم يكن لنشر هذا الشرح، وإنما تم إخراجه بهذه الصورة للتيسير علىٰ طلاب العلم في برنامج دليل، والله الموفق.

## الدرس الأول

إن الحمد لله . . . أما بعد:

### التعريف برسالة ثلاثة الأصول:

**تسميتها**: اسمها المشهور عند العلماء (ثلاثة الأصول) وسماها بعضهم (الأصول الثلاثة) وبعضهم (الأصول الثلاثة وأدلتها)

وهذا التركيب (ثلاثة الأصول) تركيب صحيح من جهة اللغة[1].

### موضوع الرسالة[2]:

تقرير التوحيد، وهو توحيد الألوهية، كما قرر فيها توحيد الربوبية، وبيَّن أن الرب هو المعبود، وإذا كان هو الرب وحده فليكن هو المعبود وحده.

وفي الأصل الثاني، وهو معرفة العبد دينه، بيَّن أن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد ... إلخ.

وفي الأصل الثالث هو معرفة العبد نبيه ﷺ بين أنه ما من خير إلا ودل الأمة عليه، وهو التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، وما من شر إلا وحذرها منه، وهو الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه.

فنجد أن الأصول الثلاثة في هذه الرسالة يجمعها أمر مشترك وهو تقرير توحيد الألوهية.

نقل الشيخ ابن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في حاشيته على ثلاثة الأصول عن المصنف

---

(١) ينظر: المقتضب للمبرد ٢/ ١٧٥، ودرة الغواص للحريري ص١١١.

(٢) ينظر: المدخل لشرح ثلاثة الأصول ص١٥.

رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قولَه: (قال المصنف قدس الله روحه: قررت ثلاثة الأصول توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، والولاء والبراء، وهذا هو حقيقة دين الإسلام).

## زمن تأليف هذه الرسالة(١):

ألفها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في زمان اشتدت فيه غربة الإسلام، وانتشر الجهل بالتوحيد عند كثير من الناس، ووقعوا في انحرافات عقدية، وكان كثير منهم لا يقرون من التوحيد إلا بالربوبية، فلا يفرقون بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، ولهذا اعتنى المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فيها بتسهيل العبارة، وكثرة الأدلة لإقناع الناس بما تضمنته هذه الرسالة من التوحيد الخالص، والتحذير من الشرك.

وجاء في الدرر السنية ١/ ١٤٦ في سبب تأليف هذه الرسالة: (وطلب الأمير: عبد العزيز بن محمد بن سعود، من الشيخ رحمه الله، أن يكتب رسالة موجزة في أصول الدين؛ فكتب هذه، وأرسلها عبد العزيز إلى جميع النواحي، وأمر الناس أن يتعلموها).

إلا أن هذه الرسالة التي أرسلها الأمير عبد العزيز تختلف بعض الشيء عن النسخة المشهورة من جهة الزيادة أو النقص أو اختلاف العبارة، وإن كان المضمون واحدا، وهو تقرير التوحيد.

لأن الشيخ محمدا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كتب هذه الرسالة عدة مرات، كما نجد ذلك في الدرر السنية في المجلد الأول ص١٢٥، ١٣٧، ١٤٧، ١٥١، فليس هذا من اختلاف النسخ، بل من تعدد التأليف.

***

(١) ينظر: المدخل لشرح ثلاثة الأصول ص٥، ٢٥، ٣٢.

## أهمية هذه الرسالة، وما تميزت به[1]:

١ – اشتمالها على أصول عقدية مهمة، فهي جامعة لما يُسأل عنه العبد في قبره، مَن ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟

٢ – أنه لا يُعرف أن أحدا من أهل العلم أفرد هذه الأصول الثلاثة بالتأليف قبل الشيخ المجدد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ[2].

٣– تلقي علماء السنة لهذه الرسالة بالقبول، فكانوا يحثون الناس على حفظها وفهمها. قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عن رسالة ثلاثة الأصول ورسالة القواعد الأربع: (فما أعظم نفعها على اختصارها لطالب الهدى)[3].

٤ – عناية المؤلف فيها بذكر الأدلة من الكتاب والسنة، فقد ذكر فيها ستين نصا من الأدلة النقلية.

٥ – سهولة عبارتها، ومناسبتُها لفهم عامة الناس؛ فالظاهر أن المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أراد بتأليفها مخاطبة عموم المسلمين.

وقد كان ولاة الأمر فيما مضى يُلزمون الناس بتعلم هذه الرسالة، ويبعثون الدعاة لتعليم الناس هذه الرسالة، ثم لما فتحت المدارس النظامية قُررت هذه الرسالة على طلاب المرحلة الابتدائية.

---

(١) ينظر: مقدمة تحقيق شرح ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن إبراهيم ص٣١، والمدخل لشرح ثلاثة الأصول ص٨، ٢٤، ٣٦.

(٢) قال الشيخ عبد الله بن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في مقدمة حاشية ثلاثة الأصول لابن قاسم ص٧: (ولم يسبق أحد إلىٰ الكتابة فيها علىٰ حدة قبل الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب – مجدد القرن الثاني عشر – أجزل الله له الأجر والثواب، وأدخله الجنة بغير حساب).

(٣) الدرر السنية ٤/ ٣٣٩.

٦- ومن مزايا هذه الرسالة حسن تصنيفها، وترتيبها.

ولهذا اعتنى العلماء بشرحها، فمن الشروح المطبوعة:

أ- شرح ثلاثة الأصول من تقريرات سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، والذي كتبه الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وقد قرأ عليه هذا المتن ست مرات، وفي كل مرة يقيد شرحه بلفظه وحروفه من فيه، فتكررت كتابته لهذا الشرح ست مرات، ثم قام ابنه الشيخ د. عبد المحسن القاسم جزاه الله خيرا بإخراجه.

وهو أول شرح يُدوَّن لهذه الرسالة.

ب- شرح سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

ت- شرح فضيلة الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

ث- شرح فضيلة الشيخ ابن فوزان حفظه الله تعالى.

وغيرهم كثير.

**تنبيه:**

في النسخة المشهورة لهذه الرسالة ثلاث مقدمات، وهي رسائل مختصرة:

الأولى: تبدأ من قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل ...)

الثانية: تبدأ من قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم ثلاث هذه المسائل ...)

الثالثة: تبدأ من قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم ...)

وهـذه المقدمـات موجـودة في نسـخة واحدة، وهي النسـخة المشـهورة المتداولة، ولا توجد هذه المقدمات في بقية النسخ.

ولهذا قال الشـيخ عبد الرحمن بن قاسـم في حاشـيته علـى ثلاثة الأصول ص٢٥ عنـد قول المؤلـف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (فإذا قيل لك ما الأصـول الثلاثةُ التي يجب على الإنسان معرفتها؟ ...) قال ابن قاسم: (وهي المقصودة بهذه النبذة، وما تقدمها من المسائل: فلعل بعض تلاميذه قرنها بها).

وبناء على هذا فبداية رسـالة ثلاثة الأصـول من قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (فـإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسـان معرفتها؟ ...) وما قبلهـا فهو من كلام المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وله أهميته وفائدته، ولكنه ليس ضمن رسالة ثلاثة الأصول[١].

(١) ينظر: المدخل لشرح ثلاثة الأصول ص٤٨.

**قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

(بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

الأولي: العلم. وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

الثانية: العمل به.

الثالثة: الدعوة إليه.

الرابعة: الصبر على الأذى فيه.

والدليل قوله تعالى: بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الأِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم.

وقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: باب العلم قبل القول والعمل. والدليل قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ فبدأ بالعلم قبل القول والعمل)

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (**بسم الله الرحمن الرحيم**) تقدم الكلام على البسملة في شرح القواعد الأربع في الدرس الماضي.

(**اعلم رحمك الله**) كلمة (اعلم) يؤتي بها عند ذكر الشيء المهم، الذي ينبغي العناية به، وما قرره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هنا من أصول الدين حقيق بأن يُهتم به غاية الاهتمام.

(رحمك الله) دعاء لك بالرحمة أي غفر الله لك ما مضى، ووفقك وعصمك فيما يُستقبل.

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يستعمل مثل هذه العبارة كثيراً، فيقول: اعلم رحمك الله.

اعلم أرشدك الله لطاعته. أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة. وهذا من حسن عنايته ونصحه وقصده الخير للمسلمين.

وقوله: (رحمك الله) فيه تنبيه على أن مبنى هذا العلم على التلطف وعلى الرحمة بالمتعلمين، وكان العلماء يروون لمن بعدهم في من طلب الإجازة بالحديث حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال النبي ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ» رواه أبو داود ٤٩٤١، وصححه الألباني.

وهو معروف عند أهل الحديث بالحديث المسلسل بالأولوية؛ لأن كل راو يقول لمن بعده: وهو أول حديث سمعته منه.

قال العلماء سبب ذلك أن مبنى هذا العلم الرحمة، ونتيجته الرحمة في الدنيا، وغايته الرحمة في الآخرة.

وفي هذا الحديث من الفوائد: إثبات علو الله تعالى، يؤخذ من قوله ﷺ: (يرحمكم من في السماء) وفيه أن الجزاء من جنس العمل، فالراحمون يرحمهم الرحمن.

**(أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل)** أي أنه يجب على كل مكلف أن يتعلم هذه المسائل الأربع.

**(المسألة الأُولَى: الْعِلْمُ)** وهو معرفة الهدى بدليله، وإذا أُطلق العلم فالمراد به العلم الشرعي، والعلم منه ما هو فرض عين، ومنه ما هو فرض كفاية، وما ذكره المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هنا فهو فرض عين.

***

**(وهو معرفة الله)**

أي بما تعرف به إلينا في كتابه وسنة رسوله ﷺ من أسمائه وصفاته وأفعاله.

ومعرفة الله تعالى تكون بالنظر في الآيات الشرعية في الكتاب والسنة، والنظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات، فإن الإنسان كلما نظر في تلك الآيات ازداد علماً بخالقه ومعبوده، قال الله عز وجل: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١] ومعرفة الله تعالى بالقلب تستلزم قبول شرعه والانقياد له.

**(ومعرفه نبيه)**

أي تعرف نبيك وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي عليه الصلاة والسلام، وتعرف أن الله تعالى أرسله إلى الجن والإنس ليعلمهم الدين ويرشدهم إلى طاعة ربهم، وأن الواجب اتباعه والسير على منهاجه، ومعرفته فرض على كل مكلف، وأحد مهمات الدين.

وتكون معرفه النبي ﷺ بالأدلة السمعية مثل قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] وقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] وبالأدلة العقلية بالنظر والتأمل فيما جاء به من البينات التي أعظمها القرآن المشتمل على الأخبار الصادقة والأحكام العادلة، وما جرى على يديه من الخوارق، وإخباره بأمور الغيب، ومعرفته تستلزم قبول ما جاء به، وتصديقه فيما أخبر، وامتثال أمره، واجتناب نهيه، وتحكيم شريعته والرضا بحكمه، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] وقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

**(ومعرفة دين الإسلام)**

الإسلام بالمعنى العام هو التعبد لله بما شرع منذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة.

قال الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] وقال تعالى عن التوراة وأنبياء بني إسرائيل: (يحكم بها النبيون الذين أسلموا) وقال سبحانه عن موسى عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

أما الإسلام بالمعنى الخاص فهو الدين الذي بَعث الله نبيَّه محمدا ﷺ به، وجعله خاتمة الأديان، لا يُقبل من أحد دين سواه.

فأتباع الرسل عليهم السلام مسلمون في زمن رسولهم، وأما حين بُعث النبي ﷺ فكفروا به فليسوا بمسلمين، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]

وفي كلام المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ إشارة إلى أن التقليد لا يجوز في باب العقائد وأنه لا بد من معرفة دين الإسلام بالأدلة من كتاب أو سنة أو إجماع؛ لأن من كان علمه بالاعتقاد عن غير دليل فهو مظنة لزعزعة اعتقاده، وتأثره بالشبه التي يثيرها أهل الباطل.

قال الشيخ عبد الله أبا بطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (فرض على كل أحد معرفة التوحيد، وأركان الإسلام بالدليل، ولا يجوز التقليد في ذلك؛ لكن العامي الذي لا يعرف الأدلة، إذا كان يعتقد وحدانية الرب سبحانه، ورسالة محمد ﷺ، ويؤمن بالبعث بعد الموت، والجنة والنار، ويعتقد أن هذه الأمور الشركية التي

تفعل عند هذه المشاهد باطلة وضلال، فإذا كان يعتقد ذلك اعتقاداً جازمًا لا شك فيه، فهو مسلم، وإن لم يترجم بالدليل، لأن عامة المسلمين ولو لقنوا الدليل فإنهم لا يفهمون المعنى غالبًا). الدرر السنية ٤/ ٣٣٩.

**(الثانية: العمل به)**

فالعمل هو ثمرة العلم، والعلم مقصود لغيره، فلا بد مع العلم بدين الإسلام من العمل به، فإن الذي معه علم ولا يعمل به شر من الجاهل.

والعمل بالعلم منه ما تركه كفر، ومنه ما تركه معصية، ومنه ما تركه دون ذلك.

فالعلم بالتوحيد بأن الله وحده هو المستحق للعبادة، فإذا علم العبد ذلك ولم يعمل بهذا العلم فأشرك مع الله جل وعلا، وكان ترك العمل بهذا العلم في حقه كفراً.

وأما ما تركه معصية كمن علم أن الخمر حرام شربها فخالف ما علم فشربها.

**(الثالثة: الدعوة إليه)**

إذا حصل له بتوفيق الله تعالى العلم والعمل فيجب عليه السعي في الدعوة إلى الإسلام كما هي طريقة الرسل عليهم السلام وأتباعهم.

والدعوة واجبة على كل مسلم ومسلمة بحسب ما عندهم من العلم، وأعظم أمر تجب الدعوة إليه هو التوحيد وإفراد الله بالعبادة ونبذ الشريك عنه سبحانه وتعالى، وكذلك الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وإنكار المنكر ونحو ذلك، فكل هذا من الدعوة إلى دين الإسلام، ولا بد للداعي إلى الله أن يكون على علم وبصيرة بما يدعو إليه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]

**(الرابعة: الصبر على الأذى فيه)**

لأن من قام بدين الإسلام ودعا الناس إليه فقد تحمل أمراً عظيماً، وقام مقام الرسل في الدعوة، وقصد أن يحول بين الناس وبين شهواتهم واعتقاداتهم الباطلة، فحينئذٍ لا بد أن يؤذى، فعليه أن يصبر ويحتسب. وسنة الله تعالى في خلقه أنه لم يجعل القبول حاصلاً للنبين والمرسلين الذين هم أفضل الخلق، وإنما عُورضوا وأُوذوا فعليه أن يصبر كما صبر المرسلون، وقد أُمر النبي ﷺ أن يحتذي حذو الصابرين كما في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] فإن لم يصبر الداعي إلى الله كان من الذين يستخفنهم الذين لا يوقنون، كما قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

**(والدليل: قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم، والعصر)**

أي الدليل لهذه المسائل الأربع سورة العصر.

ففي هذا السورة العظيمة أقسم الله تعالى بالعصر؛ لشرفه وهو الدهر الذي هو زمن تحصيل الأعمال الصالحة للمؤمنين وزمن التفريط والمعصية للمعرضين. وأقسم سبحانه بالعصر وهو الصادق سبحانه وتعالى وإن لم يقسم، ولكن أقسم لتأكيد المقام، والله سبحانه وتعالى يُقسم بما شاء من خلقه، فأقسم بالسماء ذات البروج وبالضحى وبالشمس .... لأن المخلوقات تدل على عظمته، وعلى أنه سبحانه هو المستحق للعبادة، ولبيان عظم شأن هذه المخلوقات، وأما المخلوق فليس له أن يُقسم إلا بالله تعالى، لحديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ» رواه أبو داود ٣٢٥١، وصححه الألباني.

﴿**إن الإنسان لفي خسر**﴾ هذا جواب القسم، أي جنس الإنسان من حيث هو إنسان في خسارة وهلاك.

والألف واللام للجنس، أي كل إنسان في خسارة عظيمة، ثم قال: ﴿**إلا الذين آمنوا**﴾ وأكد ذلك بثلاثة مؤكدات: القَسَم، وإنَّ، واللام، التي تسمى المزحلقة الواقعة في خبر إنَّ، وتوكيد الكلام إنما يكون إذا كان المخاطب منكراً، والمشركون ينكرون أن يكونوا في خسارة؛ لأنهم يزعمون أنهم هم أصحاب النجاة.

﴿**إلا الذين آمنوا**﴾ استثنى الله سبحانه أهل الإيمان فليسوا في خسر، وهذا يوجب الجد والاجتهاد في معرفة الإيمان والتزامه، وفيه الحث على العلم فإنه لا يمكن أن يؤمن بدون علم، وهذا دليل المسألة الأولى. والمعنى: إلا الذين آمنوا بما أمر الله تعالى من الإيمان، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

﴿**وعملوا الصالحات**﴾ المراد بالعمل الصالح أفعال الخير كلها، سواء أكانت ظاهرة أم باطنة، وسواء أكانت متعلقة بحقوق الله تعالى أم متعلقة بحقوق العباد، وسواء أكانت من قبيل الواجب أم كانت من قبيل المستحب، إذا كانت خالصة صواباً.

وهذا دليل المسألة الثانية.

عطف العمل بالواو على الإيمان، وأهل اللغة (النحاة) يقولون إن الواو تأتي كثيراً للمغايرة، فهل معنى ذلك أن العمل غير الإيمان، وأن مسمى الإيمان لا يدخل فيه العمل؟

الجواب: لا، لأن هذا من عطف الخاص على العام، لشرف ذلك الخاص

ومزيد العناية به. وعطف الخاص بعد العام يأتي كثيراً، مثل قوله جل وعلا: (قل من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) فهما من الملائكة والعطف هنا للخاص على العام.

**(وتواصوا بالحق)** أي أوصى بعضهم بعضًا بالإيمان بالله وتوحيده، وبالكتاب والسنة والعمل بما فيها، وهذا دليل المسألة الثالثة.

**(وتواصوا بالصبر)** أي بالصبر على طاعة الله وعن معصيته وعلى أقداره المؤلمة، وهذا دليل المسالة الرابعة.

**(قال الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**)** هو محمد بن إدريس القرشي، الإمام الشهير، ولد في غزة سنه ١٥٠ هـ.

وتوفي بمصر سنه ٢٠٤ ه، وهو أحد الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى.

**(لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم[1])** أي لو ما أنزل الله من القرآن الكريم على رسوله ﷺ إلا هذه السورة لكفتهم في إقامة الحجة على الخلق في وجوب امتثال ما أمر الله به، وترك ما نهى عنه، فهي كافية لهم في معرفة أنه لا نجاة لهم إلا بالإيمان بالله والعمل الصالح، والتواصي على الحق، والتواصي على الصبر، ففيها بيان أسباب النجاة بإجمال، وبقية نصوص القرآن والسنة مفصلة ومبينة لما أجمل في هذه السورة. وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع أبواب الشريعة، ولا يعني

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوىٰ ٢٨/ ١٥٢: (قال تعالىٰ: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ وروي عن الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لو فكر الناس كلهم في سورة والعصر لكفتهم. وهو كما قال. فإن الله تعالىٰ أخبر أن جميع الناس خاسرون إلا من كان في نفسه مؤمنا صالحا؛ ومع غيره موصيا بالحق موصيا بالصبر) وهو في الاستقامة أيضاً ٢/ ٢٥٩، ٢٦٠.

أن ما زاد على هذه السورة من القرآن الكريم لا حاجة إليه، فإن المسلمين بحاجة إلى كل ما جاء في كتاب الله عز وجل، وليس لهم عنه غنية، وإنما مراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ما تقدم.

**(قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ)** البخاري هو الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله، ولد ببخاري في شوال سنة ١٩٤هـ. وتوفي سنة ٢٥٦هـ.

**(بابٌ العلم قبل القول والعمل)** (بابٌ) يقرأ بالتنوين لأنه مقطوع عن الإضافة.

ترجم بالبداءة بالعلم لأن القول والعمل لا يصح إلا إذا صدر عن علم، كما قال عليه الصلاة والسلام: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». وعبادة الله التي هي أعظم حق له سبحانه على عباده لا تكون إلا بعلم.

**(والدليل قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ فبدأ بالعلم قبل القول والعمل).**

استدل الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بهذه الآية على وجوب البدء بالعلم قبل القول والعمل؛ وذلك أن الله تعالى أمر نبيه أولاً بالعلم في قوله: (فاعلم) والخطاب وإن كان للنبي ﷺ فهو يشمل الأمة، ثم أعقبه بالعمل في قوله: (واستغفر لذنبك) ولا يبدأ إلا بالأهم فالأهم، فدل على أن العلم مقدم على العمل، وأن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو مقدم عليهما؛ لأنه مصحح النية المصححة للعمل.
والخطاب في قوله (فاعلم) للرسول ﷺ وهو يشمل الأمة.

***

**(اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلمُ ثلاثِ هذه المسائلِ، والعملُ بهن)**

هذه الرسالة الثانية من المقدمات.

يجب على كل مكلف من ذكر وأنثى وجوبًا عينيًا تعلم ثلاث هذه المسائل، وكذلك المسائل الأربع السابقة؛ لأن فيها بيان أصل الدين وقاعدته. وتعلم هذه الثلاث مسائل إنما يكون بمعرفتها واعتقاد معانيها ثم العمل بما دلت عليه.

وهذه المسائل الثلاث مجملة هي:

الأولى: في توحيد الربوبية. والثانية في توحيد الألوهية. والثالثة في الولاء والبراء.

**(الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملا، بل أرسل إلينا رسولا؛ فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار)**

قوله: (الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً)

فهذه الجملة تضمنت ثلاثة أمور:

**الأول:** أن الله خلقنا أي أوجدنا بعد أن لم نكن شيئًا.

والدليل على ذلك السمع والعقل، أما الدليل السمعي فهو في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠] وقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: ١١].

أما الدليل العقلي على أن الله تعالى خلقنا ففي قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] ومعنى الآية: أي هل

خُلقوا هكذا دون خالق؟ أم هم الخالقون لأنفسهم؟ فإذا امتنع هذان الأمران تعين الأمر الثالث، وهو أنه لا بد من خالق وهو الرب تعالى.

ولم يُعرَف أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه وتعالى إلا على وجه المكابرة، كما حصل من فرعون، مع كونه مستيقناً به في الباطن، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

**الثاني**: أن الله رزقنا، والدليل على ذلك من الكتاب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] وقوله سبحانه: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [سبأ: ٢٤].

ومن السنة قوله ﷺ في الجنين: «يُبعث إليه ملَك فيُؤمر بأربع كلمات، بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد» متفق عليه.

وأما الدليل العقلي: فلأننا لا نعيش إلا بطعام وشراب، والطعام والشراب خلقه الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾...﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٤] الآيات.

الأمر الثالث: أن الله لم يتركنا هملاً.

والهَمَل بالتحريك: هو السُّدى المتروك ليلاً ونهاراً، ولم يَرِد هذا اللفظ في القرآن، وإنما الذي ورد السدى والعبث، والجميع بمعنى واحد، وهو المتروك الذي لا يؤمر ولا ينهى.

والدليل من السمع على أن الله لم يتركنا سدى قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] وقوله عز وجل: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] يعني لغير غاية وحكمة ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

أمـا الدليل العقلي على ذلك: فإن الله جل وعـلا حكيم فقد خلقنا ورزقنا وأرسل إلينا الرسل وأنزل عليهم الكتب وأوجب علينا طاعتهم وأمرنا بالجهاد في سـبيله، فلو لم يكن هناك حسـاب ولا عقاب ولا ثواب ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزه الله تعالى عنه.

(**بـل أرسـل إلينـا رسـولاً**) وهـو محمـد ﷺ، أرسـله الله عز وجـل إلينا بالهـدى وديـن الحـق كما أرسـل إلـى مـن قبلنا قـال الله تعالـى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] وذلـك لإقامـة الحجة علـى الناس، وهدايتهـم إلـى الصـراط المسـتقيم، ولهـذا قـال المؤلـف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (**فمـن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار**) لأن طاعته طاعة لله عز وجل، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النسـاء: ١٣] وفي حـق العصاة قال عز وجـل: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤]. وفي صحيـح البخـاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ مـن حديـث أبـي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قـال: قال رسـول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: يا رسول الله ومَن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى».

(**والدليل قوله تعالى**: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل: ١٥-١٦])

أي الدليـل على قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (**بل أرسـل إلينا رسـولاً**) قولُه تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا ....﴾ [المزمل: ١٥] يعني لكفار قريش. والمراد معشر الثقلين.

وقوله تعالى: ﴿رَسُولًا شَـٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ [المزمل: ١٥] يعني شاهداً على أعمالكم، كما في قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

وقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [المزمل: ١٥] وهو موسى عليه الصلاة والسلام.

وفي هذه الآية الكريمة تذكير للأمة بهذه النعمة العظيمة، وهي إرسال هذا النبي الكريم ﷺ، وتحذيرها أن تفعل مثل ما فعل قوم فرعون فيصيبهم ما أصابهم.

والمعنى أن الله جل وعلا أرسل إليكم رسولاً كما أرسل إلى فرعون رسولاً، فانظروا ماذا كان موقف فرعون وقومه من الرسول؛ لأن سنة الله لا تتغير ولا تتبدل.

قال تعالى: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَـٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٦] أي شديدا مهلكا، وذلك بأن أغرقه الله تعالى وقومه، فلم يفلت منهم أحد، ثم بعد ذلك عذبهم في قبورهم إلى يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

**(الثانية: أن الله لا يرضى أن يُشرَك معه أحد في عبادته، لا ملَك مقرب ولا نبي مرسل)**

هذه هي المسألة الثانية وهي في توحيد الألوهية، والمعنى أن الله جل وعلا يوجب على المكلفين إفراده بالعبادة؛ لأنه هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له؛ ولأنه سبحانه هو الخالق الرازق الذي له الملك والأمر، فلا يرضى سبحانه وتعالى أن يُشرَك معه أحد مهما بلغت منزلته، لا ملَك مقرَّب ولا نبي مرسل ولا غيرهما من الخلق من باب أولى؛ لأن العبادة لا تصلح إلا لله وحده، وصرفها

لغيره ظلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] والظلم وضع الشيء في غير موضعه، وسمى الله المشرك ظالما لأنه وضع العبادة في غير موضعها، لأنها لا تكون لمخلوق بل للخالق وحده.

**(والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨])**

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨] المساجد تُفسر عند أهل العلم بتفسيرين:

الأول: أنها المواضع التي بنيت لعبادة الله تعالى، ويكون المعنى: أن هذه المساجد ما بنيت إلا لله وحده، فلا تعبدوا فيها غيره.

الثاني: أنها الأعضاء التي يُسجَد عليها: الجبهة والأنف، واليدان والركبتان وأطراف القدمين، فهذه الأعضاء خلقها الله تعالى ليسجد له بها، فلا يسجد بها لغيره.

وقوله: ﴿فَلَا تَدْعُواْ﴾ [الجن: ١٨] يعم جميع الداعين، أي جميع الخلق، فليس لأحد منهم أيا كان أن يدعو مع الله تعالى أحدا.

كما يعم نوعي الدعاء: دعاء المسألة ودعاء العبادة.

وقوله ﴿أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] النكرة في سياق النهي فتفيد العموم أي فلا تدعوا مع الله أحداً كائناً من كان لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولا غيرهما من باب أولى.

فصار عندنا في الآية ثلاثة عمومات: عموم الداعين، وعموم الدعاء، وعموم المدعوين مع الله تعالى.

**(الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله)**

هذه المسألة الثالثة تتعلق بالولاء والبراء، والمعنى: أن من أطاع الرسول ﷺ وذلك باتباع أمره واجتناب نهيه، ووحد الله في عبادته، فإنه يجب عليه أن يوالي أهل الإيمان، ويعادي أهل الشرك والكفر، ولا يجوز له موالاتهم.

والموالاة هي: الموادة والمحبة، ضد المعاداة، فالموالاة معناها: أن تتخذ وليًا، وأصلها من الوَلاية، والوَلاية هي المحبة، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤] أي هناك المحبة والمودة والنصرة لله الحق. والمحادة هي: المجانبة والمخالفة والمعاداة، يعني أن المؤمنين في حد، وأعداء الله الكافرين في حد.

قال سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ...﴾ [الممتحنة: ٤] الآية.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: "أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله".

**(ولو كان أقرب قريب)** أي ولو كان من حاد الله ورسوله ﷺ أقربَ الناس إليك كالأب أو الابن أو الأخ ونحوهم، فإن الله قطع التواصل والتواد والتوارث وغير ذلك من الأحكام بين المسلمين والكفار، والقرب الحقيقي هو قرب الدين لا قرب النسب.

وهذا فيما يتعلق بالموالاة وهي المحبة والمودة، أما التعامل مع الكافر فهو جائز في كل معاملة تجوز بين المسلمين، كالبيع والإجارة ونحوها، ويجب معاملتهم بالعدل، والوفاء لهم بالعهود والمواثيق التي بيننا وبينهم، ونعامل من لم يقاتلنا منهم بالإحسان، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨] وقال في حق الوالدين المشركين: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

(والدليل قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢])

(**لا تجدُ**) بضم الدال، فهذا نفي، ويقول علماء البلاغة إن النفي أبلغ من النهي؛ لأن النهي متعلق بالمستقبل، والنفي متعلق بالماضي والمستقبل، فيكون المعنى لا تجد في أي وقت من الأوقات قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله.

ومن والى الكافرين فقد ترك واجباً من واجبات الإيمان، واستحق أن يُنفى عنه الإيمان؛ لأن الله نفى اجتماع الإيمان مع مودتهم فقال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢] فمودتهم تنافي كمال الإيمان الواجب، ولا يلزم من نفي الإيمان عنه أن ينتفي بالكلية، بل منه ما هو مكفِّر، ومنهم ما هو معصية غير مكفِّرة.

وعلى أصل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أن من نُفي عنه الإيمان فهو واقع في كبيرة. قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في الفتاوى ١١/ ٦٥٤: (نفي الإيمان والجنة أو كونه من المؤمنين لا يكون إلا عن كبيرة).

قوله: (**أو عشيرتهم**) العشيرة: الجماعة من أقارب الرجل الذين يتكثَّر بهم.

(**أولئك كتب في قلوبهم الإيمان**) أي أولئك الذين لم يحصل منهم مودة للكافرين أثبت الله في قلوبهم الإيمان، فقلوبهم مؤمنة موقنة لا تؤثر فيها الشبه والشكوك.

(**وأيدهم بروح منه**) أي قواهم بنصر منه، ونوَّر قلوبهم بالإيمان وبالقرآن وحججه، وسمى نصره إياهم رُوحاً؛ لأنه به يحيون الحياة الطيبة.

(**أولئك حزب الله**) الإضافة إلى الله إضافة تشريف، وهي تقتضي أنهم أنصار الله، وعباده المقربون، وأهل كرامته سبحانه.

(**ألا إن حزب الله هم المفلحون**) أي هم أهل الفلاح والفوز والسعادة في الدنيا والآخرة.

والموالاة للكفار والمشركين على قسمين[1]:

١- التَّوَلِّي: وهو الذي جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] والتولي معناه محبة الشرك وأهل الشرك، أو محبة الكفر وأهل الكفر، أو نصرة الكفار على أهل الإيمان قاصداً ظهور الكفر على الإسلام، وهذا كفر أكبر، وإذا كان من مسلم فهو ردة.

٢- الموالاة: وهي محرمة، من جنس محبه المشركين والكفار لأجل دنياهم، أو لأجل قرابتهم ونحو ذلك، وضابطه: أن تكون محبة أهل الشرك لأجل الدنيا، ولا يكون معها نصرة على المسلم بقصد ظهور الشرك على الإسلام، وإلا صار من القسم المكفِّر.

والدليل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١] فأثبت الله جل وعلا في هذه الآية أنه حصل ممن ناداهم باسم الإيمان اتخاذ المشركين أو الكفار أولياء بإلقاء المودة لهم.

(١) أشار إلى هذا التقسيم باختصار الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في شرحه ص ٦٤، وتفصيله في شرح حفيده معالي الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى.

وكما في قصه حاطب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما كتب لكفار قريش يخبرهم بعزم النبي ﷺ على قتالهم، حيث سـأله النبي ﷺ: «مـا حملك على هذا؟» فـدل على اعتبار القصد؛ لأنه إن كان قصَدَ ظهور الشـرك على الإسـلام وظهور المشركين على المسـلمين فهو نفاق وكفر، وإن كان له مقصد دنيـوي كمالٍ أو جاه ونحو ذلك فليس بكفر، وإن كان محرما وكبيرة من كبائر الذنوب. والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين.